مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ
إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي
لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

معانى الكلمات

كبت وجوههم : أبقوا فى النار منكسين .

هذه البلدة : مكة المكرمة .

شيعاً : فرقاً وأصنافا .

يستحيى نساءهم: يستبقى بناتهم للخدمة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر الداعية بأن نصر الله للمؤمنين قريب ، وإن إهلاكه ـ عز وجل ـ للظالمين واقع لا محالة .

٢ ـ أن يعلم المؤمن جوانب من طغيان فرعون وظلمه .

٣ ـ أن يسعى المؤمن فى الأرض عابدًا لله غير هيّاب من الظالمين .

المحتوى التربوى :

تأتى الآيات لتوضح نتيجة الطاعة والعبادة ، ولتقرير العدل الإلهى الذى لا ميل فيها ولا محاباة ، فى أن من يعمل صالحًا فى الدنيا فجزاء الله عليه واقع بجزاء فى الجنة وهو خالد فيها ، ويؤمن من الفزع جزاء ورحمة من ربهم لأوليائه وعباده ، والأمن من الفزع هو وحده جزاء ، وما بعده فضل من الله ومنة ، ولقد خافوا الله فى الدنيا فلم يجمع عليهم خوف الدنيا وفزع الآخرة ، بل أمنهم يوم يفزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا ما شاء الله ، وأن من أعرض عن ذكره ، فيكب على وجهه فى النار بمجمع الحواس ، فالجزاء من جنس العمل .

وقال الفخر الرازى : « اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين المبدأ والمعاد والنبوة ، ومقدمات القيامة وصفة أهل القيامة من الثواب والعقاب ـ وذلك كمال ما يتعلق ببيان أصول الدين ختم الكلام بهذه الخاتمة اللطيفة فقال : قل يا محمد إنى أمرت بأشياء :

الأول : إنى أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا ، وأن الله ـ تعالى ـ لما قدم دلائل التوحيد ، فكأنه أمر محمدًا بأن يقول لهم هذه الدلائل التى ذكرتها لكم إن لم تفد لكم القول بالتوحيد ، فقد أفادت لى ذلك فسواء قبلتم هذه الدعوة أو أعرضتم عنها ؛ فإنى مصر عليها غير مرتاب فيها .

ثم إنه وصف الله تعالى بأمرين : **أحدهما** : إنه رب هذه البلدة ، والمراد مكة ، وإنما اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها ؛ لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه .

ويلخص الرسول ﷺ دعوته ومنهجه فى الدعوة ، وهو فى خطابه لمشركى مكة يذكرهم تبعة الله عليهم بأن تلك البلدة صارت بلدة حراماً ، وهم يستمدون سيادتهم على العرب من عقيدة تحريم البيت ، ثم لا يوحدون الله الذى حرمه ، وأقام حياتهم كلها عليه ويقول صاحب الظلال : « فالرسول ﷺ يُقوِّم العقيدة كما ينبغى أن تُقوَّم ، فيعلن أنه مأمور أن يعبد رب هذه البلدة الذى حرمها ، لا شريك له ، ويكمل التصور الإسلامى للألوهية الواحدة، فرب هذه البلدة هو رب كل شىء ، ويعلن أنه مأمور بأن يكون من المسلمين الموحدين لله » .

وعند خطاب الكفار لابد من وسيلة وهو القرآن ، وهو كتاب هذه الدعوة ودستورها ووسيلتها كذلك ، وقد أمر أنه يجاهد به الكفار وهو هدى وبشرى ورحمة للمؤمنين الذين اهتدوا به ، ولكن من ضل وزاغ ، واتخذ القرآن مهجورا ، فقد أورد نفسه موارد التهلكة ؛ وفى ذلك تأكيد لمعنى فردية الله .

يظهر فى الآيات فردية التبعة فى ميزان الله فيما يختص بالهدى والضلال فمن آمن فلنفسه ، ومن ضل فعليها ، وفى فردية التبعة تتمثل كرامة هذا الإنسان التى يضمنها الإسلام ..

وكان ختام السورة يناسب موضوعاتها فى حمد الله على نعمة فى الكون التى آمن بها المهتدون ، وكفر بها الطاغون ، وسيرون فى القيامة جزاء إنكارهم وجحودهم؛ لأن الله لا يغفل ظلم الظالمين؛ ولا يصلح عمل المفسدين .

سورة القصص

تبدأ السورة بهذه الأحرف للتنبيه إلى أنه من مثلها تتألف آيات الكتاب المبين ، البعيدة الرتبة ، المتباعدة المدى بالقياس لما يتألف عادة من هذه الأحرف فى لغة البشر الفانين ، فهذا الكتاب ليس إذن من عمل البشر وهم لا يستطيعونه ، إنما هو الوحى الذى يتلوه الله على عبده ، ويبدو فيه إعجاز صنعته ، كما يبدو فيه طابع الحق المميز لهذه الصنعة فى الكبير والصغير .

وإلى القوم المؤمنين يوجه هذا الكتاب ، يربيهم به وينشئهم ويرسم لهم المنهاج ، ويشق لهم الطريق ، وهذه التلاوة المباشرة من الله ، تلقى ظلال العناية والاهتمام بالمؤمنين ، والله ذو الجلال يتلو على رسوله الكتاب من أجلهم .

ثم ينتقل السياق القرآنى لقصة موسى مع فرعون وما فيها من إيحاءات للرسول محمد ﷺ ؛ لتذكر قصة طغيان فرعون ، واستعلائه ، واضطهاد بنى إسرائيل وتعذيبهم ـ بذبح أطفالهم ، واستبقاء نسائهم للخدمة فكان يقتل أبناءهم ؛ لأنه أحس أن هناك خطرًا على عرشه وملكه ، ولكن الله يريد غير ما يريد الطاغية ، ولأن الطغاة البغاة تخدعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم ، وينسون إرادة الله وتقديره ، ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون ، ويختارون لأعدائهم ما يشاؤون ، ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون .

والله يعلن إرادته هو ، ويكشف عن تقديره هو ، فهؤلاء المستضعفون الذين يتصرف الطاغية فى شأنهم كما يريد له هواه البشع النكير ، هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمن عليهم بهباته من غير تحديد ، وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيدًا ولا تابعين ، وأن يورثهم الأرض المباركة .

يقول صاحب الظلال : « لقد كانت قصة موسى ﷺ تبدأ غالبا فى السور الأخرى من حلقة الرسالة ـ لا من حلقة الميلاد ـ حيث يقف الإيمان القوى فى وجه الطغيان الباغى ، ثم ينتصر الإيمان وينخذل الطغيان فى النهاية ، فأما هنا فليس هذا المعنى هو المقصود ، إنما المقصود أن الشر حين يتمحض يحمل سبب هلاكه فى ذاته ، والبغى حين يتمرد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر ، بل تتدخل يد القدرة وتأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الجزاء من جنس العمل ، وعلى المؤمن إخلاص العمل لله .

٢ ـ تلاوة القرآن ومدارسته وتدبره والعمل به .

٣ ـ الإيمان بفضل الله ورحمته للمؤمنين ، وإن تكالب عليهم الظالمون .

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ
أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾
٣٨٦

معانى الكلمات :

أوحينا : ألهمنا .

ليكون لهم عدوًا وحزنا : ليصير نهاية الأمر لهم عدوًا وسبب حزن .

اليم : البحر . **قرة عين** : سعادة .

فارغا : خاليا .

لتبدى به : تكشف أمره .

ربطنا على قلبها : ثبتها الله .

قصيه : اتبعى أثره .

جنب : بعد.

يكفلونه : يقومون بتربيته .

تقر عينها : تسعد وتطمئن .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بفضل الله ومعية الله للمؤمنين .

٢ ـ أن يعلم المؤمن قصة ولادة موسى وتربيته فى قصر فرعون وفضل الله فى ذلك .

٣ ـ أن يستمر المؤمن فى دعوته لله على بصيرة وثقة فى نصرة الله .

المحتوى التربوى :

ونتابع ذكر المغزى من قصة موسى وفرعون وهى نصرة الله للمؤمنين ، وأن يمكن لهم فيها فيجعلهم أقوياء راسخى الأقدام مطمئنين ، وأن يحقق ما يحذره فرعون وهامان وجنودهما ، وما يتخذون الحيطة دونه ، وهم لا يشعرون .

هكذا يعلن السياق قبل أن يأخذ فى عرض القصة ذاتها ، يعلن واقع الحال ، وما هو مقدر فى المآل ، ليقف القوتين وجها لوجه : قوة فرعون المنتفشة المنتفخة التى تبدو للناس قادرة على الكثير ، وقوة الله الحقيقية الهائلة التى تتهاوى دونها القوى الظاهرية الهزيلة التى ترهب الناس، والله هو الذى يدبر أمر العالم ، وكان تدبيره بأن أوحى إلى أم موسى بأن ترضعه ، فإذا خافت عليه تلقيه فى اليم وقبل أن تذهل من الأمر تأتى كلمات إذهاب المخاوف وإبعاد الحزن ، بل يظهر

الكرم والفضل بأن هذا الولد سيرد إليها سيكون نبيا مرسلا من قبل الله ، تلك بشارة الغد ، ووعد الله أصدق القائلين .

ويسمى العلماء اللام فى قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ لام العاقبة ؛ لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ، بل أرادوا أن يكون ولدا لهم ، ولكن نظر إلى المصير الذى أصبحوا عليه فى آخر الأمر .

وجاءت القدرة الإلهية تبطل كيد فرعون ، فهم التقطوا موسى ، ليكون ولدًا لهم لكن مشيئة الله قضت أن يكون موسى سببا فى إهلاك فرعون وقومه ؛ لأنهم كانوا أقواماً يكفرون بالله ، وكانت الوسيلة قلب امرأة فرعون ، فكان موسى والتقاطه رحمة للمرأة ـ زوجةَ فرعون المؤمنة فى اتخاذه ولداً ونفعه لها وللمؤمنين جميعًا ؛ لأنها كانت امرأة تكتم إيمانها .

لقد اقتحمت به يد القدرة على فرعون قلب امرأته ، بعد ما اقتحمت به عليه حصنه ، لقد حمته بالمحبة ، ذلك الستار الرقيق الشفيف ، لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال ، حمته بالحب الحانى فى قلب امرأة ، وتحدث به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره ، وهان فرعون على الله أن يحمى منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف .

والقدرة تتحدى ، تتحدى بطريقة سافرة مكشوفة ، تتحدى فرعون وهامان وجنودهما ، إنهم ليتبعون الذكور من مواليد قوم موسى خوفًا على ملكهم وعرشهم وذواتهم ، ويبثون العيون والأرصاد على قوم موسى كى لا يفلت منهم طفل ذكر .. فها هى ذى يد القدرة تلقى فى أيديهم بلا بحث ولا كد بطفل ذكر ، وأى طفل ؟ إنه الطفل الذى على يديه هلاكهم أجمعين ! ها هى ذى تلقيه فى أيديهم مجردًا من كل قوة ومن كل حيلة ، عاجزًا عن أن يدفع عن نفسه أو حتى يستنجد! ها هى ذى تقتحم به على فرعون حصنه وهو الطاغية السفاح المتجبر ، ولا تتبعه فى البحث عنه فى بيوت بنى إسرائيل ، وفى أحضان نسائهم الوالدات !

وتتلاحم معانى القدرة الربانية وشعور الأمومة ، والثقة بالله فى لهفة أم موسى على ولدها وكادت أن تصرح بما حدث ، لقد سمعت الإيحاء ، وألقت بطفلها إلى الماء ، ولكن أين هو يا ترى وماذا فعلت به الأمواج ؟ ولعلها سألت نفسها : كيف ؟ كيف أمنت على فلذة كبدى أن أقذف بها فى اليم ؟ كيف فعلت ما لم تفعله من قبل أُمٌّ ؟ كيف طلبت له السلامة فى هذه المخافة ؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب ؟

والتعبير القرآنى يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية : « فارغًا » ... لا عقل فيه ولا وعى ولا قدرة على نظر أو تصريف !

ولكن القدرة الربانية والثقة بالله تظهر فى تثبيت قلبها ، ولتيقنها من وعد الله أمرت ابنتها بأن تتبع أثره ، وتعرف خبره ، فوجدته بين أيدى خدم فرعون ، وهو يرفض أى ثدى لإرضاعه ،

فتخبرهم أنها تعرف بيتا يرضع الطفل لهم ؛لأن القدرة التى تعرف تدبر أمره ، وتكيد به لفرعون وآله .

إن القدرة التى ترعاه تدبر أمره ، وتكيد به لفرعون وآله ؛ فتجعلهم يلتقطونه ، وتجعلهم يحبونه ، وتجعلهم يبحثون له عن ظئر ترضعه ، وتحرم عليه المراضع ، لتدعهم يحتارون به ؛ وهو يرفض الثدى كلما عرضت عليه ، وهم يخشون عليه الموت أو الذبول ! حتى تبصر به أخته من بعيد ، فتعرفه وتتيح لها القدرة فرصة لهفتهم على مرضع ، فتقول لهم ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ فيتلقفون كلماتها ، وهم يستبشرون ، يودون لو تصدق فينجو الطفل العزيز المحبوب !

وينتهى المشهد الرابع ، فنجدنا أمام المشهد الخامس والأخير فى هذه الحلقة ، وقد عاد الطفل الغائب لأمه الملهوفة ، معافى فى بدنه ، مرموقًا فى مكانته ، يحميه فرعون ، وترعاه امرأته ، وتضطرب المخاوف من حوله وهو آمن قرير .

إن أعلى مراتب الإيمان أن يؤمن المسلم بوعد الله ، فقال الله لأم موسى : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ ﴾ ، ثم كان قوله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ ﴾ ، وقرت عينها بولدها فى حاضرها ، وطوت صفحة الحزن فى ماضيها ، ولتثق ببقية البشارة أن هذا الولد سيشب ويكبر ، ويكون نبيا مرسلا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيجحدون وينكرون ولا يستحقون نزول رحمات الله لهم .

يقول صاحب الأساس : « نلاحظ من سياق القصة أن الله ـ عز وجل ـ إذا أراد إنقاذ أمة هيأ لها المنقذ ، ومن ثم فإن وجود الرسول ، أو المجدد ، أو الوارث ، أو الخليفة ، أو القائد ، له دوره الكامل فى نقل الأمة من حال إلى حال، كما نلاحظ أن الله ـ عز وجل ـ إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه، وأن كل معاندة مهما كان شأنها لا يمكن أن تحدم إلا مراد الله ... وفى هذه السورة دروس كثيرة لهذه الأمة فى التعريف على أهمية القيادة ، وفى الاطمئنان إلى فعل الله بعباده المؤمنين ، وفى التدليل على صحة الإلهام ، وفى ضرورة التوكل مع الأخذ بالأسباب ، وغير ذلك من الدروس » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ـ السعى فى إخلاص العبادة لله ، والسعى فى الدعوة إلى الله مع اليقين من معية الله للمؤمنين .

٢ ـ وجوب اتخاذ الحذر فى كل أمر مع الإيمان بقضاء الله .

٣ ـ تقدير عاطفة الأمومة والعمل إزاء ذلك من بر الأمهات وإكرامهن .

معانى الكلمات :

أشده : قوة بدنه .

شيعته : بنو إسرائيل .

وكزه : ضربه فى صدره بمجمع كفه .

ظهيرًا : معينا .

يترقب : يتوقع .

غوى مبين : واضح الضلال .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يستشعر المؤمن قيمة اللجوء إلى الله والتضرع إليه .

٢ ـ أن يعلم الداعية جوانب من قصة موسى عليه السلام والمعية الربانية له .

٣ ـ أن يداوم المؤمن على الاستغفار واللجوء والتضرع إلى الله .

المحتوى التربوى :

ويأتى السياق القرآنى فى الحديث عن نضوج موسى وبلوغ القوة فى الجسم والعقل ، واستحقاق اصطفاء الله له ، واختياره له بإتيانه حكما وعلمًا ، وختام الآية يشى بأنه أحسن فأحسن الله إليه بالحكمة والعلم ، ودخل المدينة فوجد فيها رجلين يقتتلان ، أحدهما قبطى قال : إنه من حاشية فرعون ، ويقال : إنه طباخ بالقصر ، والآخر إسرائيلى ، فاستغاث الإسرائيلى بموسى مستنجدًا به على عدوهما القبطى ، وهذا لايقع إلا إذا كان الإسرائيلى على ثقة من أن موسى لم يعد متصلا بالقصر ، وأنه قد عرف أنه من بنى إسرائيل ، وأنه ناقم على الملك والحاشية ، منتصر لقومه المضطهدين ، وكانت عنده حمية المؤمن عندما يرى الظلم فتحركت هذه الحمية

فوكز المصرى فقضى عليه ، وهو لم يقصد ذلك فأرجع الغواية للشيطان، واستغفر ربه، وكانت الاستجابة الربانية لدعاء المحسنين .

يقول صاحب الظلال : « وكأنما أحس موسى بقلبه المرهف وحسه المتوفز فى حرارة توجهه إلى ربه ، أن ربه غفر له ، والقلب المؤمن يحس بالاتصال والاستجابة للدعاء فور الدعاء ، حين يصل إرهافه وحساسيته إلى ذلك المستوى ، فبادر بشكر النعمة علمًا بأنه لن يكون معينا للظالمين حتى لو كان تحت تأثير الغيظ ، ومرارة الظلم والبغى » .

من المشهد السابق نرى صفات للداعية إلى الله يجب أن تكون حتى يمضى فى دعوته منها؛ نفوره من الظلم والمنكر، وإرجاعه كل عمل سوء إلى الشيطان الذى يغوى بنى آدم ، ثم الإقرار بالذنب والاعتراف به ، ثم المبادرة بالاستغفار إلى الله ، والإخلاص فيه بإعلان تبرئه من سلوك الظالمين وعدم السير فى ركابهم .

تبدو فى شخصية نبى الله موسى عليه السلام السمة الانفعالية ، فكان فى حالة قلق يتوقع الشر ويتوجسه ، والشخص الذى استصرخه قبل ذلك استصرخه مرة أخرى فى اليوم التالى ، فلم يتمالك موسى عليه السلام نفسه عندما رأى الظلم فاشيا ، وهذا التجاوز فى الغضب يقع عند شيوع الطغيان .

ويقول صاحب الظلال : « وإنه ليقع حينما يشتد الظلم ، ويفسد المجتمع ، وتختل الموازين ، ويخيم الظلام أن تضيق النفس الطيبة بالظلم الذى يشكل الأوضاع والقوانين والعرف ، ويفسد الفطرة العامة ، حتى ليرى الناس الظلم فلا يثورون عليه ، ويرون البغى ، فلا تجيش نفوسهم لدفعه ، بل يقع أن يصل فساد الفطرة إلى حد إنكار الناس على المظلوم أن يدفع عن نفسه ، ويقاوم ، ويسمون من يدفع عن نفسه أو غيره ﴿ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كما قال القبطى لموسى ؛ ذلك أنهم ألفوا رؤية الطغيان يبطش وهم لا يتحركون ؛ حتى وهموا أن هذا هو الأصل ، وأن هذا هو الفضل ، وأن هذا هو الأدب ، وأن هذا هو الخلق : وأن هذا هو الصلاح فإذا رأوا مظلوما يدفع الظلم عن نفسه ، فيحطم السياج الذى أقامه الطغيان لحماية الأوضاع التى يقوم عليها ، إذا رأوا مظلوما يهب لتحطيم ذلك السياج المصطنع الباطل ولولوا ودهشوا ، وسموا هذا المظلوم الذى يدفع الظلم سفاكا أو جبارًا ، وصبوا عليه لومهم ونقمتهم ، ولم ينل الظالم الطاغى من نقمتهم ولومهم إلا القليل » .

ولقد طال الظلم ببنى إسرائيل ، فضاقت به نفس موسى عليه السلام حتى رأيناه يندفع فى المرة الأولى ويندم ، ثم يندفع فى المرة الثانية لما ندم عليه حتى ليكاد يفعله ، ويهم أن أن يبطش بالذى هو عدو له ولقومه .

لذلك لم يتخل الله عنه بل رعاه واستجاب له ، فالله العليم بالنفوس يعلم أن للطاقة البشرية حدًا فى الاحتمال ، وأن الظلم حين يشتد ، وتغلق أبواب النصفة ، يندفع المضطهد إلى الهجوم والاقتحام .

يقول **صاحب الظلال** : « وهذه هى العبرة التى تستشف من طريقة التعبير القرآنية عن الحادثتين وما تلاها ، فهو لا يبرر الفعلة ، ولكنه كذلك لا يضخمها ، ولعل وصفها بأنها ظلم للنفس إنما نشأ من اندفاع موسى بدافع العصبية القومية ، وهو المختار ليكون رسول الله ، المصنوع على عين الله ، أو لعله كان لأنه استعجل الاشتباك بصنائع الطغيان ، والله يريد أن يكون الخلاص الشامل بالطريقة التى قضاها ، حيث لا تجدى تلك الاشتباكات الفردية الجانبية فى تغيير الأوضاع » .

ويبدو أن رائحة فاحت عن قتيل الأمس ، وأن شبهات تطايرت حول موسى ، فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطى الثانى واجهه هذا بالتهمة .

ويقول **صاحب الظلال** فى قوله تعالى : ﴿ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ : « تلهم الآية أن موسى كان قد اتخذ له فى الحياة مسلكا يعرف به أنه رجل صالح مصلح ، لا يحب البغى والتجبر ، فهذا القبطى يذكره بذلك ، ويتهمه بأنه يخالف عما عرف عنه » .

ثم تحوط العناية الربانية نبى الله موسى عليه السلام بتسخير رجل مؤمن ـ على الراجح يحذر موسى من ترصد ملأ فرعون له ، فخرج خائفاً يدعو ربه أن ينجيه من الظالمين ، وهنا نلحظ قوة الإيمان، فإن الإيمان ملأ قلبه ودفعه لينصح موسى ، وقد أصبح مقصد الملأ من حاشية فرعون ، وأبى أن يكونفى موقف الكثرة المتفرجة.

وكان موقف موسى من خروجه خوفاً من فرعون وملئه موافقا لطبيعته الانفعالية ، ونلمح فى ذلك التوجه المباشر بالطلب إلى الله ، والتطلع إلى حمايته ورعايته والالتجاء إلى حماه فى المخافة ، وترقب الأمن عنده والنجاة : ﴿ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الحكمة والعلم معيار للتفاضل بين الأشخاص ، وأن من أوتى الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا .

٢ ـ مواجهة المحن والشدائد بالاستغفار لله .

٣ ـ الشجاعة فى مواجهة الظلم والمنكر .

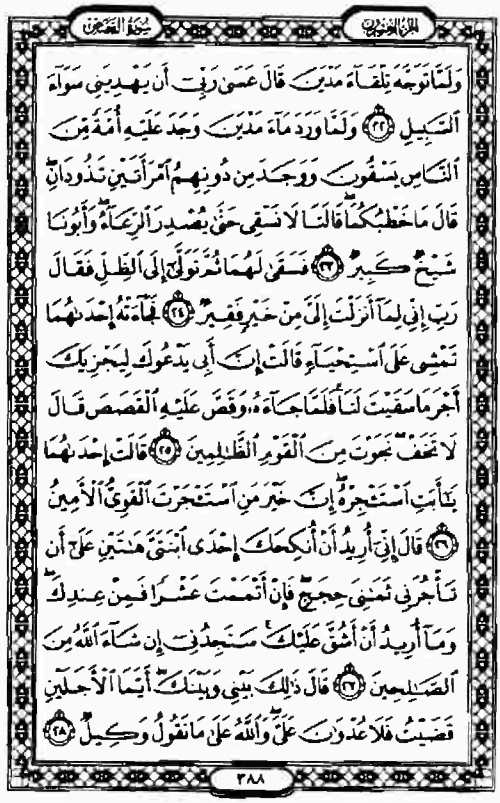
وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾
٣٨٨

معانى الكلمات :

ورد : أتيماء

تذودان : تكفان أغنامهما ، وتمنعانها من الماء .

يصدر الرعاء : ينصرف الرعاة .

حجج : سنين .

أشق : أصعب .

وكيل : شاهد .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة الحياء والعفة .

٢ ـ أن يعلم المؤمن جوانب من العظات من قصة موسى مع شيخ مدين وابنتيه .

٣ ـ أن يسلك المؤمن سبل العفة فى كل أعماله وأقواله .

المحتوى التربوى :

ولا يزال الدعاء والتضرع سلاح موسى عليه السلام وقد خرج خائفًا فى الطرق الصحراوية ، فى اتجاه مدين فى جنوبى الشام وشمال الحجاز ، مسافات شاسعة ، وأبعاد مترامية ، لا زاد ولا استعداد ، فقد خرج من المدينة خائفا يترقب ، وخرج منزعجا بنذارة الرجل الناصح ، لم يتلبث ، ولم يتزود ، ولم ولم يتخذ دليلا ، ونلمح إلى جانب هذا نفسه متوجهة إلى ربه مستسلمة له ، متطلعة إلى هداه ، ترجوه أن يهديها طريق النجاة .

لقد انتهى به السفر الشاق الطويل إلى ماء لمدين ، وصل إليه وهو مجهود مكدود ، وإذا هو يطلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة ، السليمة الفطرة ، كنفس موسى عليه السلام وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء ؛ ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود

الماء ، والأولى عند ذوى المروءة والفطرة السليمة ، أن تسقى المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولاً ، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما .

ولم يقعد موسى الهارب المطارد ، المسافر المكدود ، ليستريح ، وهو يشهد هذا المنظر المنكر المخالف المنكر المخالف للمعروف ، بل تقدم للمرأتين يسألهما عن أمرهما الغريب :

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ ..

فأطلعتاه على سبب انزوائهما وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن الورود ، إنه الضعف ، فهما امرأتان وهؤلاء الرعاة رجال ، وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على الرعى ومجالدة الرجال ! وثارت نخوة موسى عليه السلام وفطرته السليمة ، فتقدم لإقرار الأمر فى نصابه ، تقدم ليسقى للمرأتين أولاً ، كما ينبغى أن يفعل الرجال ذوو الشهامة ، وهو غريب فى أرض لا يعرفها ، ولا سند له فيها ولا ظهير ، وهو مكدود قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد ، وهو مطارد ، من خلفه أعداء لا يرحمون ، ولكن هذا كله لا يقعد به عن تلبية دواعى المروءة والنجدة والمعروف ، وإقرار الحق الطبيعى الذى نعرفه النفوس : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾.

مما يشهد بنبل هذه النفس التى صنعت على عين الله ، كما يشى بقوته التى ترهب حتى وهو إعياء السفر الطويل ، ولعلها قوة نفسه التى أوقعت فى قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوة جسمة ، فإنما يتأثر الناس أكثر بقوة اللأرواح والقلوب ، ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ ..

مما يشير إلى أن الأوان كان أوان قيظ وحر ، وأن السفرة كانت فى ذلك القيظ والحر .

يقول صاحب الظلال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ : « إنه يأوى إلى الظل المادى البليل بجسمه ، يأوى إلى الظل العريض الممدود ، ظل الله الكريم المنان بروحه وقلبه ، رب إنى فى الهاجرة ، رب إنى فقير ، رب إنى وحيد ، رب إنى إلى فضلك ومنك وكرسك فقير محووج ، ونسمع من خلال التعبير رفرفة هذا القلب والتجاهه إلى الحمى الآمن والركن الركين ، والظل الظليل نسمع المناجاة القريبة والهمس الموحى ، والانعطاف الرفيق ، والاتصال العميق » .

واستمعت السماء للقلب الضارع الباكى ، وجاء فرج الله وغوثه بدعوة الشيخ الكبير ؛ ليأجره ثم تزوج ابنته وعمل عنده عشر سنوات ، وهذا المشهد على وجازته يشى بمعانٍ عميقة :

ـ خجل الفتاة وحياؤها ، ودعوة نبى الله موسى فى أقصر لفظ وأقل ، فالفتاة القويمة تستحى بنظرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم ، ولكن لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب ، الاضطراب الذى يطمع ويغرى ويهيج إنما تتحدث فى وضوح بالقدر المطلوب ، ولا تزيد .

ـ إن حاجة الإنسان إلى الأمن قد تكون أشد من حاجة الجسم إلى الزاد ، فكانت كلمة ﴿ لَا تَخَفْ ﴾ مبعث الطمأنينة والأمان .

ـ ثم رؤية الأنوثة المستقيمة السليمة للرجال فى طلبها من أبيها أن يستأجره ؛ حتى تظل عفيفة مستورة عن مزاحمة الرجال ، وكانت معايير اختيار الرجال الصالحين وهى القوة والأمانة ، والقوة من إفساح الرجال له وهو غريب ، والغريب ضعيف مهما اشتد ، والأمانة من عفة لسانه ونظره حين توجهت لدعوته .

ـ واستجابة الشيخ لابنته يشى بحسن التربية ، ولإحساسه بأن بينهما ميلا فطريا سليما يصلح لبناء أسرة سليمة، والقوة والأمانة حين تجتمعان فى رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة .

ـ فى عرض الرجل الصالح ابنته الصالحة على الرجل الصالح هدمًا لما يحدث فى المجتمعات التى تتنكب طريق الفطرة السليمة عندما يأبى الأب أن يعرض ابنته على الرجل الصالح ، ويُسمح للفتاة والفتى بالاختلاط والتحدث ، ولقد كان الآباء يعرضون بناتهم على الرجال على عهد رسول الله ﷺ .

ـ فى العقد الذى عرضه الشيخ الكبير على موسى بيان وعبرة لما يجب أن تكون مواضع العقد وشروط التعاقد فلا غموض ولا التواء ، وكان التساهل من طرف الشيخ فى قوله : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾ ، وكان حسن الوفاء والقضاء كما جاء عن رسول الله : « قضى أكثرهما وأطيبهما » .

ـ لم يشهد على هذا العقد أحد من الناس وكل منهما قدم ما يضمن حق الآخر ، فقال الشيخ الكبير : ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، وقال موسى عليه السلام : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ .

وما زلنا نلمح المعية الربانية التى تكتنف موسى عليه السلام بأن نجاه ربه من القوم الظالمين ، وسار إلى القوم الصالحين ، وتزوج وعمل وأمن معهم .

وقال صاحب **الظلال** : « وهكذا اطمأن بموسى عليه السلام المقام فى بيت حميه ، وقد أمن من فرعون وكيده ، ولحكمة مقدرة فى علم الله كان هذا » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ مساعدة الضعفاء فى المجتمع .

٢ ـ أن يكون الحياء خلق المؤمنين والمؤمنات .

٣ ـ الوضوح وعدم الغموض فى العقود بين المؤمنين ، والوفاء بها .

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
(٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ
مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ (٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ
بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤)
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ (٣٥)

٣٨٩

معانى الكلمات :

الأجل : المدة .

آنس : أبصر بوضوح .

جذوة من النار : عود فيه نار .

جان : نوع من الحيات .

مدبرا : انصرف هاربا .

لم يعقب : لم يلتفت .

ردءا : عونا .

سنشد عضدك : سنقويك ونعينك .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة التكليف الربانى والتبعة فيه .

٢ ـ أن يعلم المؤمن جوانب من شأن الرسالة التى كلف بها موسى عليه السلام .

٣ ـ أن يستعين المسلم فى كل أموره بالله عز وجل .

المحتوى التربوى :

تعرض الآيات حلقة أخرى من قصة موسى وهى بعد ما قضى الأجل وعاد إلى مصر ، وفى طريق العودة تلقى التكليف بالرسالة ، ونلمح فى كل ما عايشه الكليم كيف صنعه الله على عينه ، وحياته خط طويل من الرعاية والتوجيه ، ومن التلقى والتجريب قبل النداء وقبل التكليف ، فلقى تجارب عديدة الرعاية والحب والاندفاع والغربة والجوع ، عاش فى حياة القصور وحياة الفقراء ، وما تخلل ذلك من تجارب صغيرة ، ومشاعر متباينة بجانب ما آتاه الله حين بلغ أشده من العلم والحكمة .

يقول صاحب **الظلال** : « ونقف قليلاً أمام تدبير الله لموسى ﷺ فى هذه السنوات العشر ، وفى هذه الرحلة ذهابًا وجيئة ، فى هذا الطريق .

لقد نقلت يد القدرة خطا موسى ﷺ خطوة خطوة، منذ أن كان رضيعًا فى المهد حتى الحلقة، ألقت به فى اليم ليلتقطه آل فرعون ، وألقت عليه المحبة فى قلب امرأته لينشأ فى كنف عدوه ، ودخلت به المدينة على حين غفلة من أهلها ليقتل منهم نفسًا ، وأرسلت إليه الرجل المؤمن من آل فرعون ليحذره وينصحه بالخروج منها ، وصاحبته فى الطريق الصحراوى من مصر إلى مدين وهو وحيد مطارد على غير زاد ولا استعداد وجمعته بالشيخ الكبير ليأجره هذه السنوات العشر ، ثم ليعود بعدها فيتلقى التكليف .

هذا خط طويل من الرعاية والتوجيه ، ومن التلقى والتجريب ، قبل النداء وقبل التكليف .. تجربة الرعاية والحب والتدليل ، وتجربة الاندفاع تحت ضغط الغيظ الحبيس ، وتجربة الندم والتحرج والاستغفار ، وتجربة الخوف والمطاردة والفزع ، وتجربة الغربة والوحدة والجوع ، وتجربة الخدمة ورعى الغنم بعد حياة القصور ، وما يتخلل هذه التجارب الضخمة من شتى التجرب الصغيرة ، والمشاعر المتباينة ، والخوالج والخواطر ، والادراك والمعرفة .. إلى جانب ما آتاه الله حين بلغ أشده من العلم والحكمة .

إن الرسالة تكليف ضخم شاق متعدد الجوانب والتبعات ، يحتاج صاحبه إلى زاد ضخم من التجارب والإدراك والمعرفة والتذوق فى واقع الحياة العملى ، إلى جانب هبة الله اللدنية ، ووحيه وتوجيهه للقلب والضمير » .

كل ما سبق كان تمهيدًا للمهمة الكبرى والشاقة التى كلف بها ، ولأنها أشق رسالة تلقاها بشر ـ عدا رسالة محمد ﷺ ،لأنه مرسل إلى فرعون الطاغية المتجبر ، أعتى ملوك الأرض فى زمانه ، مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا كؤوس الذل حتى استمرؤوا مذاقه ، مرسل إلى قوم لهم عقيدة قويمة ، انحرفوا عنها ، مرسل لإعادة بناء أمة ، فلأول مرة يصبح بنو إسرائيل شعباً مستقلا ، له حياة خاصة ، تحكمها رسالة ، وإنشاء الأمم عمل ضخم شاق عسير .

يقول صاحب **الظلال** عن تجربة العشر سنوات : « جاءت لتفصل بين حياة القصور التى نشأ فيها موسى ﷺ ، وحياة الجهد الشاق فى الدعوة وتكاليفها العسيرة، ولحياة القصور جو خاص، وتقاليد خاصة مهما تكن هذه النفس من المعرفة والإدراك والشفافية ، والرسالة معاناة لجماهير من الناس فيهم الغنى والفقير ، كما أن للرسالة تكاليفها من المشقة والتجرد ، وقلوب أهل القصور ـ مهما تكن مستعدة للتضحية لا تصبر طويلا على المشقة والحرمان والثقة عند معاناتها فى واقع الحياة ، فشاءت القدرة أن تزج بموسى ﷺ فى مجتمع الدعاة ، وأن ينزع من حسه روح الاشمئزاز من الفقر والفقراء ، وروح التأفف من عاداتهم وأخلاقهم ».

كانت رحلة العودة مرحلة جديدة فنزل عليه التكليف الربانى ، ويلمح خوف رب الأهل عليهم ، فعندما أبصر النار خاف على أهله ، وذهب ليأتى بعود فيه نار يستدفئون به ، وعندما ذهب لم يجد نارًا بل نورًا إلهيا ، كان النداء الإلهى بإثبات الألوهية ؛ لأنها أول كلمات الرسالة السماوية .

بالرغم من الخوف المسيطر على موسى ﵇ إلا أنه أطاع أمر مولاه فى إلقاء العصا ، وفى إخراج يده التى أصبحت بيضاء لامعة مشعة من غير مرض بالرغم من أنه ﵇ كان أسمر اللون، وهاتان المعجزتان سلاحه أمام فرعون لإقناعه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴾ يزيد فى اطمئنان موسى ﵇ بربه ، وأن الله منجز له وعده ، وقد قاله شيخ مدين له الذى حكاه القرآن عنه : ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وهنا يخاف موسى على الرسالة أن تقف بذنب ارتكبه موسى ، يقول ذلك لا ليعتذر ، ولا ليتقاعس ، ولا لينكص ، ولكن ليحتاط للدعوة .

ثم يستمر القص القرآنى الرائع لهذه القصة فى طلب موسى من ربه أن يعينه بأخيه هارون؛ لأنه أفصح لسانا ، وهو ردء له ومعين ، يقوى دعواه ، ويخلفه إن قتلوه ، وهنا نلحظ خوف المؤمن على الدعوة ، وفضل الناصر والمعين فى طريق الرسالات ، ومن جهة أخرى نلحظ أن الدعوة كانت بفردين لا بكثرة كاثرة .

وهنا تأتى الاستجابة الإلهية وزيدت عليها البشارة والتطمين ، فهما لن يذهبا مجردين إلى فرعون الجبار ، وإنما يذهبان إليه مزودين بسلطان من الله فلن يصل إليهما الظالمون ، ولا تقف البشارة عند هذا الحد ، ولكنها الغلبة للحق ، الغلبة لآيات الله التى يجابهان بها الطغاة ، فإذا هى وحدها السلاح والقوة ، وأداة النصر والغلبة ، فالقدرة تتجلى سافرة على مسرح الحوادث ، وتؤدى دوراً مكشوفاً بلا ستار من قوى الأرض ، لتكون الغلبة بغير الأسباب التى تعارف عليها الناس فى دنيا الناس ، وليقوم فى النفوس ميزان جديد للقوى والقيم ، إيمان وثقة بالله ، وما بعد ذلك فعلى الله .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ حرص رب البيت على أهله وحدبه عليهم .

٢ ـ طاعة المسلم لأوامر الله ، والثقة بوعده عز وجل .

٣ ـ اعتراف الداعية بقدراته الحقيقية .

٤ ـ اللجوء والتضرع إلى الله فى كل وقت .

الجزء العشرون — سورة القصص

فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ
لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ
لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا
لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي
الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

٣٩٠

معانى الكلمات :

مفترى : مكذوب مختلق .

صرحاً : قصراً عظيما .

أطلع : أرى .

المقبوحين : المبعدين أو المشوهين .

بصائر للناس : شواهد صدق .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بسوء عاقبة الظلم والاستكبار .

٢ ـ أن يعلم المؤمن جزاء وعاقبة الظالمين .

٣ ـ أن يجتهد المؤمن فى العبادات والدعوة إلى الله ؛ ليكون من أئمة الخير .

المحتوى التربوى :

تعرض الآيات موقف المكذبين من فرعون وملئه ، وتعجل بالضربة القاضية لهم ، ويختصر حديث السحرة الذى ذكر فى آيات أخرى ، وقالوا عن حديث موسى : سحر مختلق ، وأنهم لم يسمعوا من آبائهم هذا الأقوال ، فالمكذب هنا لا يناقش بالحجة ولا يدلى ببرهان ، وهذا تسلية للرسول ﷺ فهو نفى رد المشركين عليه ، أما موقف الداعية موسى فإنه يحيل الأمر بينه وبينهم إلى الله ، فالاختصار أولى والإعراض أكرم ، فهو رد مهذب للداعية يلمح فيه الثقة والطمأنينة إلى عاقبة المواجهة بين الحق والباطل .

ويأتى رد الظالمين البعيد عن الإقناع بل رد ملؤه الادعاء والتطاول والمداورة والاستكبار والصلف والتهكم فيرد عدو الله فرعون بأنه لا يعلم إلهاً غير نفسه ، وكان يعتمد على الموروثات

من نسبة الألوهية للملوك ، ثم يتظاهر الكاذب بالجد فى معرفة الحقيقة والبحث عن إله موسى، وفى خلال ذلك يلهو ويسخر ويكذب .

يتهكم فيتظاهر بأن شاك فى صدق موسى ، ولكنه مع هذا الشك يبحث وينقب ليصل إلى الحقيقة ، واستكبر فرعون ، واستكبر جنوده مفسدين فى الأرض بغير حق ، وذلك لما توهموا عدم الرجعة إلى الله ، وأنكروا البعث والنشور .

وكان النهاية عظة وعبرة للمعتبرين ، فاليم الذى كان نجاة ومأمنا لموسى كان هلاكا لفرعون وملئه ، وهى عاقبة مشهودة معروضة للعالمين ، هذه هى عقوبة الدنيا أما عقوبة الآخرة أنهم غير منصورين بل مهانين يوم الحشر ، وتستمر العقوبات باستمرار اللفتة عليهم إلى يوم القيامة جزاء تطاولهم واستكبارهم وادعاء فرعون الألوهية .

وفى لمحة أخرى يجتاز الحياة الدنيا ، ويقف بفرعون وجنوده فى مشهد عجيب .. يدعون إلى النار ، ويقودون إليها الأتباع والأنصار ، فيابئساها دعوة ، ويابئساها إمامة ! ، فما هى إلا الهزيمة فى الدنيا ، وهى الهزيمة فى الآخرة ، جزاء البغى والاستطالة ، وليست الهزيمة وحدها ، إنما هى اللعنة فى هذه الأرض ، والتقبيح فى يوم القيامة .

يقول صاحب الظلال فى تناوله للفظة ﴿ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ : « ترسم بذاتها صورة القبح والفضيحة والتشنيع ، وجو التقزز والاشمئزاز ، ذلك فى مقابل الاستعلاء والاستكبار فى الأرض وفتنة الناس بالمظهر والجاه ، والتطاول على الله وعلى عباد الله » .

والصورة المقابلة هى الدعاة إلى الله الذين يهتدى بهم من شُرح صدره للإيمان ، فأعمالهم تنمو وتربو عند الله بكل نصيحة أسدرها ، وكل صدقة جارية أنفقوها ، ووراء ذلك أن أجورهم عند الله يوفيهم إياها يوم القيامة ، فهم أئمة الخير فى الدنيا وهم معروفون يوم القيامة ، وينادون للدخول من أبواب الجنة .

ثم تأتى الآيات لتعرض نصيب موسى ، وهو نصيب عظيم ، وهذه عاقبة موسى وهى عاقبة كريمة ، كتاب من الله يبصر الناس كأنه بصائرهم التى بها يهتدون .

توضح الآيات أن كتب الله التى أنزلها لعباده هى طريق رشدهم وفلاحهم فى الدنيا والآخرة ، ففيها العبرة والعظة ، ويتذكر مصير الأمم السابقة التى عتت عن أمر ربها ، كما أن كتب الله هدى للفئة المؤمنة تنير لهم الطريق ، وهى لمسة الحنو على الدعاة حين يواجهون الطغاة والمعاندين .

يقول الإمام محمد أبو زهرة فى المعجزة الكبرى القرآن :

« انتهى أمر فرعون بهذا الاغراق ، ولكنه لما أوشك على الغرق جاء إليه الإيمان متأخرا ، فكانت المعجزة أن الله أبقاه مثلا للآخرين وأن الله سبحانه يقول مفصلا مهلكه من غير تكرار ، وأن ذكر المقدمات مفصلا ، قال سبحانه : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ

بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يونس) .

انتهى فرعون ونلاحظ هنا ثلاث ملاحظات :

أولها : أن فرعون كان دائما يذكر جنوده على أنهم الذين يوالونه فى طغيانه ، ويمالئونه فى عدوانه ، وينصرونه ، والشعب لا يذكر فى مقام المناصرة لفرعون .

وثانيها : أن الذين آمنوا من الشعب عدد لا يكون كثرة تهز ملك فرعون وإذا كانوا كثرة لم يذكروا مع فرعون لأنهم فريسته ، فلم ينصروا بكثرتهم دعوة موسى ، وكانوا كشأنهم فيما يتعلق بملوكهم أن خالفوا الحق نافق منهم من ينافق، وتملق من يتملق، والشعب وقف موقف النظارة، ولذلك كانت الهجرة إذ قل النصير المؤيد ، وكثر العدو المناهض .

ثالثها : أن الله تعالى أجرى على يد موسى معجزات تتصل بمصر الزراعية كما ذكر فى سورة الأعراف ، ولقد ذكر فى السورة موسى وفرعون ، وذكرت هنا كما ذكرت فى غيره العصا والسحرة ، وكررت لأنها المعجزة الكبرى التى تحدى بها ، كما كان القرآن الكريم يذكر كثيرا فى القرآن لأنه المعجزة الكبرى التى جاء بها محمد ﷺ » .

يقول صاحب الظلال : « وهكذا تنتهى قصة موسى وفرعون فى هذه السورة شاهدة بأن الأمن لايكون إلا فى جانب الله ، وأن المخافة لا تكون إلا فى البعد عن الله ، ذلك إلى تدخل يد القدرة سافرة متحدية للطغيان والطغاة ، حين تصبح القوة فتنة يعجز عن صداها الهداة .

وهى المعانى التى كانت الجماعة المسلمة الصغيرة المستضعفة فى مكة فى حاجة إلى الاطمئنان إليها ، وكان المشركون المستكبرون فى حاجة إلى تدبرها ، وهى المعانى المتجددة الدائمة حيثما كانت دعوة إلى الهدى ، وحيثما كان طغيان يقف فى وجه الهدى .

وهكذا يجىء القصص فى القرآن مادة تربية للنفوس ، وتقرير لحقائق وسنن فى الوجود » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الصبر على كل ما يواجه المؤمن فى طريقه .

٢ ـ أخذ العظة والعبرة من هلاك الطغاة والظالمين .

٣ ـ رد كل الأمور إلى الله الذى بيده الأمر كله .

٤ ـ الاسترشاد بهدى كتب الله عز وجل ، ووجوب مدارسة القرآن وتدبره .

الجزء العشرون — سورة القصص

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

٣٩١

معانى الكلمات :

قضينا : عهدنا

جانب الغربى : المكان الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام .

قرونًا : أمما وأجيالا .

العمر : طالت الفترة الزمنية بينهم وبين رسالة موسى .

ثاويا : مقيما

أهواءهم : ميولهم ورغباتهم .

تظاهرا : تعاونا

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بقيمة إرسال الله للرسل والأنبياء .

٢- أن يعرف المؤمن موقف الكفار من الأنبياء ووجوه التكذيب .

٣- أن يصبر المؤمن فى دعوته على المعاندين .

المحتوى التربوى :

تسوق الآيات دلائل صدق نبوة الرسول محمد ﷺ فى أن الله أعلم نبيه بقصص الأنبياء ومنها قصة موسى عليه السلام بنزول التوراة عليه فى الجانب الغربى من جبل الطور ، وقصة مكوثه فى أهل مدين ، وهذه الآيات وما فيها من قصص رحمة للمؤمنين ، ودليل إعجاز للقرآن الكريم ، وهى تخويف بالعذاب للكافرين ليروا عاقبة الظلم والعتو والصد عن سبيل الله .

ويقول صاحب الظلال : « فهى رحمة الله بالقوم ، وهى حجته كذلك عليهم ، كى لا يعتذروا بأنهم أخذوا على غرة ، وأنهم لم ينذروا قبل أخذهم ـ وما هم فيه من جاهلية وشرك ومعصية يستوجب العذاب ـ فأراد الله أن يقطع حجتهم ـ وأن يعذر إليهم ، وأن يقفهم أمام أنفسهم مجردين من كل عائق يعوقهم عن الإيمان » .

ورحمة الله بعباده تمثل جانبا أساسيا من تصور حقيقة الألوهية وعلاقة العباد بها ، فرحمة الله تفيض على عباده جميعا ، وتسعهم جميعا ، وبها يقوم وجودهم ، وتقوم حياتهم ، وهى تتجلى فى كل لحظة من لحظات الوجود أو لحظات الحياة للكائنات ، فأما فى حياة البشر خاصة فلا نملك أن نتابعها فى كل مواضعها ومظاهرها .

يقول صاحب الظلال : « إن لحظة واحدة يفتح الله فيها أبواب رحمته لقلب المؤمن فيتصل به ويعرفه ، ويطمئن إليه ـ سبحانه ـ ويأمن فى كنفه ، ويستروح فى ظله .. إن لحظة واحدة من هذه اللحظات لتعجز الطاقة البشرية عن تمليها واستجلائها ، فضلا على وصفها والتعبير عنها ..

إن الشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو ليسكب فى قلب المؤمن الطمأنينة إلى ربه ـ حتى وهو يمر بفترات الابتلاء بالضراء ، التى تزيغ فيها القلوب والأبصار ـ فهو يستقين أن الرحمة وراء كل لمحة ، وكل حالة ، وكل وضع ، وأن ربه لا يعرضه للابتلاء لأنه تخلى عنه ، أو طرده من رحمته ، فإن الله لا يطرد من رحمته أحدًا يرجوها ، إنما يطرد الناس أنفسهم من هذه الرحمة حين يكفرون بالله ويرفضون رحمته ويبعدون عنها » .

وتستمر الآيات فى توضيح منهاج الدعوة للمؤمنين والتحذير من المشركين ، وكان ديدنهم أنهم عندما كانوا يستشعرون نزول المصائب ، فيلجؤون إلى الله ضارعين بأنهم سيتبعون الرسل إذا جاؤوا إليهم ، ولكن لخبث نفوسهم يكذبون ويعرضون ، وقد جاءهم الرسول محمد بالآيات واستمر العناد والصلف ، وتستمر المحاجة مطلبهم أن تكون الرسالة مثل رسالة موسى ، كان الرد عليهم أن المشركين من قبل كذبوا بموسى وأخيه ، وقالوا : إنهما ساحران ، وكفروا والكفار فى عهد الرسول مثل الكفار فى أى وقت ينكرون الحق من أجل الحفاظ على مصالحهم الدنيوية ، ويعتبرون كتب الله كالتوراة والقرآن سحراً .

وهكذا لم يذعنوا للحق واستمسكوا بالتعلات الباطنة ، وقالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى من الخوارق المادية أو الألواح التى نزلت عليه جملة وفيها التوراة كاملة ، ولكنهم لم يكونوا صادقين فى حجتهم ولا مخلصين فى اعتراضهم .

وتتابع الآيات بتحدى الكافرين ومحاجتهم ، بأن يأتوا بكتاب مثل القرآن والتوراة ، وهذا هو التحدى ، والمحاجة فى أنه لو أتوا بهذا الكتاب سيتبعه الرسول ، ويقول صاحب الظلال : « وهذه نهاية الإنصاف ، وغاية المطاولة بالحجة ، فمن لم يجنح إلى الحق بعد هذا فهو ذو الهوى المكابر الذى لا يستند إلى دليل » .

فى الآيات تنبيه للدعاة أن يلتزموا القرآن تدبراً ومدارسة ، وأن يطبقوه فى حياتهم ، وأن يتحدوا به أمم الأرض ، لأنه الإعجاز المطلق من عند الله ، والزيغ عن القرآن تخبط وانحراف عن طريق الحق ، وإن من ينحرف عن القرآن فقد اتبع هواه .

يقول صاحب الظلال : « إن الحق فى هذا القرآن لبين ، وإن حجة هذا الدين لواضحة ، فما يتخلف عنه أحد بعلمه إلا أن يكون الهوى هو الذى يصده ، وإنهما لطريقان لا ثالث لهما : إما إخلاص للحق ، وخلوص من الهوى ، وعندئذ لابد من الإيمان والتسليم ، وإما مماراة فى الحق واتباع للهوى فهو التكذيب والشقاق ، ولا حجة من غموض فى العقيدة ، أو ضعف فى الحجة ، أو نقص فى الدليل ، كما يدعى أصحاب الهوى المعرضون » .

فإن لم يستجيبوا للإيمان ، هكذا جزما وقطعا كلمة من الله لا راد لها ولا معقب عليها ، إن الذين لا يستجيبون لهذا الدين مغرضون غير معذورين ، متجنون لا حجة لهم ولا معذرة متبعون للهوى معرضون عن الحق الواضح .

وحين تنفلت النفس من كل المعايير الثابتة ، والمقاييس المعلومة ، والموازين المضبوطة ، وتخضع لهواها ، وتحكم شهواتها وتتعبد ذاتها ، فلا تخضع لميزان ، ولا تعترف بحد ، ولا تقشع بمنطق ، متى اعترض هواها الطاغى الذى جعلت منه إلها يعبد ويطاع .

والله سبحانه يخاطب عبده فى رفق ومودة وإيناس فى أمر هذا النموذج من الناس ، ويرسم له هذه الصورة الناطقة المعبرة عن ذلك النموذج الذى لا جدوى من المنطق معه، ولا وزن للحجة، ولا قيمة للحقيقة ؛ ليطيب خاطره من مرارة الإخفاق فى هدايته ، فهو غير قابل للهدى .

ويخطو السياق خطوة أخرى فى تحقير هؤلاء الذين يتعبدون هواهم ، ويحكمون شهواتهم ، ويتنكرون للحجة والحقيقة .

وتشير الآيات لمفهوم الظلم ، ومعنى الظلم وضع الأمر فى غير محله ، فالكفار ظلموا أنفسهم واتبعوا الهوى المضل، وأعرضوا عن القرآن بما فيه من بشرى وهدى ورحمة لمن آمن بالله .

يقول صاحب الظلال : « إن هذا النص ليقطع الطريق على المعتذرين بأنهم لم يفهموا عن هذا القرآن ولم يحيطوا علما بهذا الدين ، فما هو إلا أن يصل إليهم ويعرض عليهم حتى تقوم الحجة ، وينقطع الجدل ، وتسقط المعذرة ، فهو بذاته واضح واضح ، لا يحيد عنه إلا ذو هوى يتبع هواه ، ولا يكذب به إلا متجن يظلم نفسه ، ويظلم الحق البين ، ولا يستحق هدى الله ، ولقد انقطع عذرهم بوصول الحق إليهم ، وعرضه عليهم ، فلم يعد لهم من حجة ولا دليل » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ استشعار نعمة الله علينا بإرساله أنبياء يهدون الناس إلى سبيل الرشاد .

٢ ـ أن يتحلى المسلم بفضيلة الصبر فى كل أحواله ومواقفه .

٣ ـ الحذر من اتباع الهوى وضلالات النفس .

٤ ـ أن يستلهم المؤمن العظات والعبر من القرآن دائما .

معانى الكلمات :

وصلنا لهم القول : أنزلنا القرآن متتابعاً .

يدرؤون : يردون .

أعرضوا عنه : لم يلتفتوا إليه .

لا نبتغى الجاهلين : لا نريد مخالطتهم .

نتخطف : نُخرج .

لم تسكن : بقيت خالية .

أمها : أصلها وعاصمتها .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يحس المؤمن بقيمة الأخلاق الطيبة وأثرها فى الدعوة .

٢ ـ أن يعرف المؤمن بعض الصفات الواجب توافرها فى المؤمنين .

٣ ـ أن يتجنب المسلم أماكن اللهو واللغو .

المحتوى التربوى :

تعرض الآيات صورة مقابلة لصورة اعوجاج الفطرة رغم تتابع الرسل ، تعرض صورة من استقامة الطبع وخلوص النية ، وهم الذين آمنوا بالكتاب ، وآمنوا بأن الرسول هو الحق ؛ ذلك لأن أنفسهم قد طهرت من الخبث ، وغدوا مستحقين لتنزلات وفيوضات الرحمن ، فهو فضل الله ، وهو من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى أكثر من تلاوته ، فيعرف الذين عرفوا الحق من قبل أنه من ذلك المعين ، وأنه صادر من ذلك المصدر الواحد الذى لا يكذب ، والإسلام لله هو دين المؤمنين بكل دين .

هؤلاء الذين أسلموا لله من قبل ثم صدقوا بالقرآن بمجرد سماعه يؤتون أجرهم مرتين بفضل صبرهم على الإسلام ، إسلام القلب والوجه ، ومغالبة الهوى والشهوة ، وأعسر الصبر ما كان على الهوى والشهوة والالتواء والانحراف ، وهؤلاء صبوا عليها جميعا ، وصبروا على السخرية والإيذاء ، وكما يقع دائما للمستقيمين على دينهم فى المجتمعات المنحرفة الضالة الجاهلة فى كل زمان ومكان .

ثم زاد هؤلاء درجة فوق الصبر ، وهى الاستعلاء على كبرياء النفس وحب الانتقام وهى درجة السماحة الراضية ، وهى رد القبيح بالجميل وتقابل الجاهل الساخر بالطمأنينة والهدوء وبالرحمة والإحسان ، وهو أفق من العظمة لا يبلغه إلا المؤمنون الذين يعاملون الله فيرضاهم ويرضونه ، فيلقون ما يلقون من الناس راضين مطمئنين .

ويذكر السياق سماحة نفوسهم بالمال ، عقب ذكره لسماحة نفوسهم بالإحسان ، وهما من منبع واحد : منبع الاستعلاء على شهوة النفس ، والاعتزاز بما هو أكبر من قيم الأرض ، الأولى فى النفس ، والثانية فى المال ، وكثيرًا ما يردان متلازمين فلا القرآن .

وصفة أخرى من صفة النفوس المؤمنة الصابرة على الإسلام الخالصة للعقيدة ، فهى قلوب مؤمنة لا تغلو ذلك اللغو ، ولا تستمع إلى ذلك الهذر ، ولا تعنى بهذا البذاء ، ولا يدخلون مع أهل اللغو فى جدل حوله ، لأن الجدلع أهل اللغو لغو ، إنما يشركونهم فى موادعة وسلام ، هكذا فى أدب ، وفى دعاء بالخير ، وفى رغبة فى الهداية مع عدم الرغبة فى المشاركة .

يقول صاحب الظلال : « إنها صورة وضيئة للنفس المؤمنة المطمئنة إلى إيمانها تفيض بالترفع عن اللغو ، كما تفيض بالسماحة والود ، وترسم لمن يريد أن يتأدب بأدب الله طريقه واضحاً لا لبس فيه ، فلا مشاركة للجهال ، ولا مخاصمة لهم ، ولا موجدة عليهم ، ولا ضيق بهم ، إنما هو الترفع والسماحة وحب الخير حتى للجارم المسىء » .

ثم تلفت الآيات الانتباه إلى دور الداعين ، ودورهم هو النصيحة ، والقلوب بعد ذلك بين أصابع الرحمن ، والهدى والضلال وفق ما يعلمه من قلوب العباد ، واستعدادهم للهدى والضلال، وهذا مما يخفف العبء على الدعاة فإن إبلاغ الدعوة هو مهمتهم والهداية تكون من الله ، وأبو طالب عم الرسول ﷺ لم يسلم رغم استمرار دعوة الرسول له .

ويأتى السياق إلى قولتهم التى قالوها معتذرين عن أتباعه مخافة أن يفقدوا سلطانهم على قبائل العرب المجاورة ، التى تعظم الكعبة ، وتدين لسدنتها ، وتعظم أصنامها ، فتتخطفهم تلك القبائل ، أو يتخطفهم أعداؤهم من وراء شبه الجزيرة دون أن تساندهم هذه القبائل ، فيبين لهم أين يكون الأمن ، وأين يكون الخوف من واقعهم التاريخى ، ومن حاضرهم الذى يشهدونه.

يقول صاحب الظلال : « إنها النظرة السطحية القريبة ، والتصور الأرضى المحدود ، وهو الذى أوحى لقريش ، وهو الذى يوحى للناس أن أتباع هدى الله يعرضهم للمخافة ، ويغرى بهم الأعداء ، ويفقدهم العون والنصير ، ويعود عليهم بالفقر والبوار ».

فهم لا ينكرون أنه الهدى ، ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس ، وهم ينسون الله ، وينسون أنه وحده الحافظ ، وأنه وحده الحامى ، وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم وهم فى حمى الله ، وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تنصرهم إذ خذلهم الله ، ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم ، ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى ، تقديرهم للأمور ، أن الأمن لا يكون إلا فى جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا فى البعد عن هداه، وأن هذا الهدى موصول بالقوة موصول بالعزة.

وما حدث قط فى تاريخ البشرية أن استقامت جماعة على هدى الله إلا منحها القوة والمنعة والسيادة ففى نهاية المطاف ، بعد إعدادها لحمل هذه الأمانة ، أمانة الخلافة فى الأرض وتصريف الحياة » .

وتوجه الآيات النظر إلى الاعتبار من هلاك الأمم ، فالأمم التى آمنت واستقامت كتب لها النصر والتمكين ، والأمم التى كذبت وجحدت نعمة ربها أهلكها الله بعذاب من عند الله ، وخلت بيوتهم من ساكنيها ،وفى ذلك خطاب لمن يخاف من الفرد والإخراج من الأرض إن آمن .

إن بطر النعمة ، وعدم الشكر عليها هو سبب هلاك القرى ، وقد أوتوا من نعمة الله ذلك الحرم الآمن ، فليحذروا إذن أن يبطروا ، وألا يشكروا ، فيحل بهم الهلاك كما حل بالقوى التى يرونها ويعرفونها ، ويرون مساكن أهلها الداثرين خاوية ، لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ، وبقيت شاخصة تتحدث عن مصارع أهلها ، وتروى قصة البطر بالنعمة ، وقد فنى أهلها فلم يعقبوا أحدًا ، ولم يرثها بعدهم أحد .

وهنا يظهر العدل الإلهى فى أن الله عز وجل لم يهلك أمة من الأمم إلا بعد إرسال الرسول إليهم ، ويأتى هذا الإهلاك بعد تكذيبهم وإعراضهم ، وهذا يقتضى من المؤمن أن يسرع فى طريق الدعاة ، وليواصل مهمة الرسل والأنبياء ولا يتسرع فى الحكم على الناس بل يتروى ، ويثبت قبل إصدار الحكم على المدعوين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ التحلى بمحاسن الأخلاق من الصبر ، والعفو .

٢ ـ البعد عن أماكن اللهو وتجنب السفهاء وعدم الخوض مع ضلالتهم .

٣ ـ الثقة فى نصر الله للمؤمنين ، وبث هذه الثقة فى المؤمنين .

٤ ـ الاعتبار والاتعاظ من هلاك الأمم السابقة .

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

معانى الكلمات :

حق عليهم القول: وجب عليهم العذاب .

أغويناهم : ضللناهم .

عميت عليهم الأنباء : خفيت عليهم الإجابة .

الخيرة : الاختيار

ما تكن : ما تخفى .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة ثواب الله للمؤمنين .

٢ ـ أن يعلم المؤمن بعض مشاهد يوم القيامة .

٣ ـ أن يبادر المؤمن بالتوبة لله عز وجل .

المحتوى التربوى :

تسوق الآيات إقناع الكفار بعدم الاغترار بالحياة الدنيا ، وأن ما فى الأرض كله إن هو إلا شىء زهيد إذا قيس بما عند الله ، وهذا هو التقويم الأخير ، لا لما يخشون فوته من الأمن والأرض والمتاع وحده ، ولا لما يمن به الله عليهم من التمكين والثمار والأمان وحده ، ولا لما وهيه الله للقرى ثم أهلكها بالتبطر فيه وحده ، إنما هو التقويم الأخير لكل ما فى هذه الحياة الدنيا حتى لو ساغ ، وحتى لو كمل ، وحتى لو دام ، فلم يعقبه الهلاك والدمار ، إنه كله متاع هذه الحياة وزينتها ، والذى عند الله خير وأبقى خير فى طبيعته وأبقى فى مدته ، والمفاضلة بين هذا وذاك تحتاج إلى عقل يدرك طبيعة هذا وذاك ، ومن ثم يجىء التعقيب فى هذه الصيغة للتنبيه لإعمال العقل فى الاختيار .

وتوضح الآيات أن الثقة بوعد الله من أعلى درجات الإيمان ، أما الجاحد والمنكر لوعد الله ينتظره عذاب أليم ، والثقة بهذا الوعد تستلزم الصبر وتحمل التكاليف الربانية وإقامة الشعائر ، والجهاد فى سبيله .

يقول صاحب الظلال : « وفى نهاية هذه الجولة يعرض عليهم صفحتى الدنيا والآخرة ، ولمن شاء أن يختار .. فهذه صفحة من وعده الله وعدًا حسنا فوجده فى الآخرة حقا وهو لا بد لاقيه ، وهذه صفحة من نال متاع الدنيا القصير الزهيد،ثم ها هو ذا فى الآخرة محضر إحضارًا للحساب، والتعبير يوحى بالإكراه ﴿ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ الذين يجاء بهم مكرهين خائفين يودون أن لم يكونوا محضرين ، لما ينتظرهم من وراء الحساب على ذلك المتاع القصير الزهيد .

وتلك نهاية المطاف فى الرد على مقالتهم ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ فحتى لو كان ذلك كذلك فو خير من أن يكونوا فى الآخرة من المحضرين ، فكيف واتباع هدى الله معه الأمن فى الدنيا والتمكين ، ومعه العطاء فى الآخرة والأمان ؟ ألا إنه لايترك هدى الله إذن إلا الغافلون الذين لا يدركون حقيقة القوى فى هذا الكون ولا يعرفون أين تكون المخافة ، وأين يكون الأمن ، وإلا الخاسرون الذين لا يحسنون الاختيار ولأنفسهم ولا يتقون البوار » .

ثم تسوق الآيات مشهد الكفار يوم القيامة ، والتوبيخ لهم باتخاذهم معبوداً من دون الله ، والله يعلم ألا وجود اليوم لهؤلاء الشركاء ، وأن أتباعهم لا يعلمون عنهم شيئا ، ولا يستطيعون إليهم سبيلا ، ولكنه الخزى والفضيحة على رؤوس الأشهاد .

ومن ثم لا يجيب المسؤولون عن السؤال ، فليس المقصود به هو الجواب ، إنما يحاولون أن يتبرأوا من جريرة إغوائهم لمن وراءهم ، وصدهم عن هدى الله ، ولا يتعللون إلا باتباعهم لرؤوس الكفران أنهم أقروا بأنهم لم يعقلوا فى اتباعهم الهوى والكفر ورؤوس الكفر ، ويتبرأ رؤوس الكفر من التابعين لهم ، ربنا إننا لم نغوهم قسرًا ، فما كان لنا سلطان على قلوبهم ، إنما هم وقعوا فى الغواية عن رضى منهم واختيار ، كما وقعنا نحن فى الغواية دون إجبار ، ويتبرؤون من جريمة إغوائهم ، إنما كانوا يعبدون أصناما وأوثانا وخلقا من خلقك ، ولم نجعل أنفسنا لهم آلهة ، ولم يتوجهوا لإلينا نحن بالعبادة ، ويقال لهم ادعوا شركاءكم ولا تهربوا عن سيرتهم ، ادعوهم لينقذوكم ، ومن إذلالهم عدم الاستجابة ، والعذاب ماثل أمامهم وهكذا لا ينفع فى هذا اليوم إلا من صدق مع الله وأحسن الظن بالله ، ووثق بوعد الله .

وهنا تظهر صورتان متقابلتان ، صورة الكفار فى صورة الذل والهوان يوم القيامة ، وقد أجبروا أن ينادوا آلهتهم المزعومة لتنجدهم وأريد بذلك إعناتهم وإذلالهم ، ثم يسألهم الله كيف

كانت إجابتهم المرسلين ، والله يعلم وهو تقرير لفداحة ذنوبهم ، ثم كان الجزاء الأليم جزاء الصد والاستكبار .

ثم تأتى صورة مقابلة لمن تاب من اتباع الكافرين ، وعمل صالحًا ، واتبع طريق الله ، وبعد عن طريق الصلف والصد والاستكبار فهو من المفلحين الناجين ، وفى ذلك رحمة من الله بعباده .

ثم تأتى الآيات بالحقيقة التى لو تذكرها الخلق دائما لاستقامة الحياة ، وهى حقيقة أن الله يخلق ما يشاء ، وليس لأحد من خلقه أن يبدل أو يغير .

ويقول صاحب الظلال فى ذلك : « إنها الحقيقة التى كثيرًا ما ينساها الناس أو ينسون بعض جوانبها ، إن الله يخلق ما يشاء ، لا يملك أحد أن يقترح عليه شيئًا ، ولا أن يزيد أو ينقص فى خلقه شيئًا ، ولا أن يعدل أو يبدل فى خلقه شيئًا ، وإنه هو الذى يختار من خلقه ما يشاء ومن يشاء لمن يريد من الوظائف والأعمال والتكاليف والمقامات ، ولا يملك أحدٌ أن يقترح عليه شخصًا ولا حادثًا ولا حركة ولا قوة ، ولا فعلاً .

هذه الحقيقة لو استقرت فى الأخلاد والضمائر لما سخط الناس شيئا يحل بهم ، ولا استخفهم شىء ينالونه بأيديهم ،ولا أحزنهم شىء يفوتهم أو يفلت منهم ، فليسوا هم الذين يختارون ، إنما الله هو الذى يختار ، وليس معنى هذا أن يلغوا عقولهم ونشاطهم، ولكن معناه أن يتقبلوا ما يقع ، بعد أن يبذلوا ما فى وسعهم من التفكير والتدبير والاختيار بالرضا والتسليم والقبول ، فإن عليهم ما فى وسعهم ، والأمر بعد ذلك لله ».

وتأتى الآيات إلى التذكير بقيمة العبودية والاستسلام لله والخضوع له ، وبالإيمان بأن كل ما فى الوجود لله عز وجل فلا شريك له فى خلق ولا اختيار ، ويعقب الاستسلام لله والانقياد له مقتضى العبودية لله وهو حمد الله على نعمه وآلائه ، وهو يقضى بين عباده لا راد له ولا مبدل لحكمه ، وإليه البعث والرجوع فيقضى بين عباده قضاءه الأخير ، فى هذا كله إقامة حجة جديدة على وجوب الدخول فى الإسلام ، وترك المغلات المبعدة من الدخول فيه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الثقة بوعد الله عز وجل ، وأن يخلص المسلم فى العبادة لله .

٢ ـ بث الأمل فى نفوس الناس بأن باب التوبة مفتوح لكل عبد مهما كانت ذنوب العبد .

٣ ـ استحضار موقف يوم القيامة ، وموقف الكفار وموقف المؤمنين .

الجزء العشرون — سورة القصص

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

٣٩٤

معانى الكلمات :

سرمداً : دائماً .

لتسكنوا : لتستريحوا .

لتبتغوا من فضله : لتطلبوا الرزق .

برهانكم : حجتكم .

بغى عليهم : تكبر عليهم .

لتنوء : تميل .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة الوسطية والاعتدال .

٢ ـ أن يعلم المؤمن سبب إهلاك قارون .

٣ ـ أن يستعمل المسلم المال ونعم الله الأخرى ؛ لما فيه صلاحه واستقامته .

المحتوى التربوى :

تأتى الآيات بالظواهر الكونية الماثلة أمام أعين الكافرين لتقيم الحجة عليهم ، وتبث فيهم قيمة التفكر والاعتبار فى الكون ؛ لأن الناس لطول ما اعتادوا من كر الجديدين ينسون حدتها المتكررة التى لا تبلى .

ويقول صاحب الظلال : « والقرآن الكريم يوقظهم من همود الإلف والعادة ، ويلفتهم إلى تملى الكون من حولهم ومشاهده العظيمة وذلك حين يخيل إليهم استمرار الليل أبدًا أو النهار أبدًا وحين يخيفهم من عواقب هذا وذاك ، وما يشعر الإنسان بقيمة الشىء إلا حين يفقده أو يخاف عليه الفقدان ».

يظهر قبح الكفر فيمن يعيش فى نعم الله ، ويتقلب فى رحمته فخلق له الليل نسكن فيه ونستريح من مشقة العمل، وخلق له النهار ليكتسب فيه الرزق ، وهذا يقتضى من العبد أن يشكر نعمة الله علينا باللسان والجوارح .

وتسوق الآيات مشهدًا من مشاهد يوم القيامة ، وهو مشهد النداء ، وما فيه من سؤال عن الشركاء وتأنيب وتوبيخ الكافرين الذين تغافلوا عن نعم الله فى الكون ، وفى هذا المشهد العدل الإلهى بإقرار الكافرين بذنوبهم وآثامهم .

وتصوير يوم النداء ، وما فيه من سؤال عن الشركاء ، يعاد هنا لتوكيده ، وتثبيته على مشهد نزع شهيد من كل أمة ، وهو نبيها الذى يشهد بما أجابته ، وما استقبلت به رسالته ، والنزع حركة شديدة ، والمقصود إقامته وإبرازه وإفراده من بينهم ليشهده قومه جميعا ، وليشهد قومه جميعا ، وفى مواجهة هذا الشاهد يطلب منهم برهانهم على ما اعتقدوا وما فعلوا ، وليس لديهم برهان ، ولا سبيل لهم يومئذ إلى المكابرة ، فقد علموا أن الحق كله لله خالصا لا شبهة فيه ولا ريبة ، وضل الشرك والشركاء وما كانوا يفترون، فما هو بواجدهم ، وما هم بواجديه فى وقت حاجتهم إليهم.

ثم تأتى قصة أخرى هى قصة قارون وهى تعرض سلطان المال والعلم ، وكيف ينتهى بالبوار مع البغى والبطر ، والاستكبار على الخلق ، وجحود نعمة الخالق ، وتقرر حقيقة القيم ، فترخص من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح ، مع الاعتدال والتوازن فى الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو ولا فساد .

قال صاحب الأساس : « وهكذا أقام الله الحجة على توحيده وكمال علمه وكمال حكمته وكمال إنعامه وأن يجب له الحمد والشكر ، وأن له الحكم وفى ذلك حجة جديدة على من لم يهتد أو يضع التعلات للفرار من الإسلام » .

قصة قارون هى نموذج لتوضيح دور المال فى الحياة ، فطغاة المال عندما يؤتون المال يظلمون به الناس ، ويبغون عليهم بحرمان الأجراء من أجرهم ، وحرمان الفقراء من حقهم ويستأثرون بهذا المال ، ويدفعهم هذا إلى سلوك كل ذريعة للمحافظة عليه من احتكار وغصب ، والمفاخرة مما يكسر قلوب الفقراء .

لقد كان قارون من قوم موسى ، فآتاه الله مالا كثيرًا ، يصور كثرته بأنه كنوز ـ والكنز هو المخبوء المدخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول ـ وبأن مفاتح هذه الكنوز تعين المجموعة من أقوياء الرجال ، ومن أجل هذا بغى قارون على قومه ، ولا يذكر فيم البغى ؛ ليدعه مجهلا يشمل شتى الصور ، فربما عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم ـ كما يصنع طغاة المال فى كثير من الأحيان ـ وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم فى ذلك المال ، حق الفقراء فى أموال

الأغنياء ، كى لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم ومن حولهم محاويج إلى شىء منه ، فتفسد القلوب ، وتفسد الحياة ، وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب .

لكن فى كل وقت يظهر فيه فساد أو انحراف لابد أن توجد فئة تنبه الظالم ، وتوجه إليه كلمة الحق لترده عن هذا البغى ، وتوجهه إلى النهج القويم للتصرف فى هذا الثراء ، وهو نهج لا يحرم الأثرياء ثراءهم ، ولا يحرمهم المتاع المعتدل بما وهبهم الله من مال ، ولكنه يفرض عليهم القصد والاعتدال ، وقبل ذلك يفرض عليهم مراقبة الله الذى أنعم عليهم ، ومراعاة الآخرة وما فيها من حساب .

ويأتى النص القرآنى ليعرض الوسطية والاعتدال فى المنهج الإلهى القويم المنهج الذى يعلق قلب صاحب المال بالآخرة ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع فى هذه الحياة، بل يحضه على هذا، ويكلفه إياه تكليفًا ، كى لا يتزهد الزهد الذى يهمل الحياة ويضعفها .

يقول صاحب الظلال : « لقد خلق الله طيبات الحياة ؛ ليتمتع بها الناس ، وليعملوا فى الأرض لتوفيرها وتحصيلها ، فتنمو الحياة وتتجدد ، وتتحقق علاقة الإنسان فى هذه الأرض ذلك على أن تكون وجهتهم فى هذا المتاع هى الآخرة ، فلا ينحرفون عن طريقها ، ولا يشغلون بالمتاع من تكاليفها ، والمتاع فى هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم » .

وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق فى حياة الإنسان ، ويمكنه من الارتقاء الروحى الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة ، التى لا حرمان فيها ، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة .

وهذا المال هبة من الله وإحسان، فليقابل بالإحسان فيه ، إحسان التقبل ، وإحسان التصرف، والإحسان به إلى اخلق وإحسان الشعور بالنعمة ، وإحسان الشكران .

﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الفساد بالبغى والظلم ، والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة الله ومراعاة الآخرة ، والفساد بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء ، والفساد بإنفاق المال فى غير وجهه ، أو إمساكه عن وجهه على كل حال ، والله لا يحب المفسدين كما أن لا يحب الفرحين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ التفكر والاعتبار فى نعم الله عز وجل فى الكون ، وشكر الله باللسان والجوارح .

٢ ـ أن يديم المسلم تذكر مواقف يوم القيامة .

٣ ـ معرفة دور المال فى الحياة وعدم الوقوع فى فتنته .

٤ ـ مدارسة سير الناجين ، وسير الهالكين كى يصل المؤمن لعفو الله ورضوانه .

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ
وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟
مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ
وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

معانى الكلمات :

زينته : ترفه .

خسفنا به وبداره الأرض : جعلنا الأرض تغور به وبكنوزه .

فئة : جماعة معينة .

ويكأن الله : صيغة تعجب .

يبسط الرزق : يوسعه .

من الله علينا : تفضل علينا .

علوا : تكبرا وطغيانا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقلة متاع الدنيا أمام ثواب الله .

٢ ـ أن يعرف نهاية قصة قارون .

٣ ـ أن يقوم المؤمن بدوره فى مجتمعه بالنصح للعصاة والضالين .

المحتوى التربوى :

تعرض قضية الكفر بالنعمة بنموذج يتكرر فى البشرية ، فكم من الناس يظن أن علمه وكده هما سبب غناه ، ومن ثم فهو غير مسؤول عما ينفق ، غير محاسب على ما يفسد بالمال وما يصلح ، غير حاسب لله حسابا ، ولا ناظر إلى غضبه ورضاه وهكذا قال قارون : إنما أوتيت هذا المال استحقاقا على علمى الذى طوع لى جمعه وتحصيله ، فما لكم تملون علىَّ طريقة خاصة فى التصرف فيه ، وتتحكمون فى ملكيتى الخاصة ، وأنا إنما حصلت هذا المال بجهدى الخاص ، واستحققته بعملى الخاص ؟

إنها قولة المغرور المطموس الذى ينسى مصدر النعمة وحكمتها، ويفتنه المال، ويعميه الثراء، وهو نموذج مكرر فى البشرية .

والإسلام فى تعامله مع المال كما يقول صاحب **الظلال** : « يعترف بالملكية الفردية ، ويقدر الجهد الفردى الذى بذل فى تحصيلها من وجوه الحلال التى يشرعها ، ولا يهون من شأن الجهد الفردى أو يلغيه ، ولكنه فى الوقت ذاته يفرض منهجا معينا للتصرف فى الملكية الفردية ـ كما يفرض منهجا لتحصيلها وتنميتها ـ وهو منهج متوازن متعادل ، لا يحرم الفرد ثمرة جهده ، ولا يطلق يده فى الاستمتاع به حتى الترف ولا فى إمساكه حتى التقتير ، ويفرض للجماعة حقوقها فى هذا المال ، ورقابتها على طرق تحصيله ، وطرق تنميته وطرق إنفاقه والاستمتاع به ، وهو منهج خاص واضح الملامح متميز السمات » .

ولكن قارون لم يستمع لنداء قومه ، ولم يشعر بنعمة ربه ، ولم يخضع لمنهجه القويم ، وأعرض عن هذا كله فى استكبار لئيم وفى بطر ذميم ، ومن ثم جاءه التهديد قبل تمام الآية ، ردًا على قولته الفاجرة المغرورة ، فإن كان ذا قوه وذا مال ، فقد أهلك الله من قبله أجيالا كانت أشد منه قوة وأكثر مالا ، وكان عليه أن يعلم هذا ، فهذا هو العلم المنجى ، فليعلم ، وليعلم أنه هو وأمثاله من المجرمين أهون على الله حتى من أن يسألهم عن ذنوبهم ، فليسوا هم الحكم ولا الأشهاد .

ثم تتابع الآيات بذكر مشهد آخر يعرض اختلاف موازين الناس فى القيم ، فالمحبون للدنيا تستهويهم زينة المال ، ويعجبون به دون البحث عن مصادره ، أما المتصلون بالله فلهم ميزان آخر يقيم الحياة ، وفى نفوسهم قيم أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع ، وهم أعلى نفسًا ، وأكبر قلبا من أن يتهاووا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعًا ولهم من استعلائهم بالله عاصم من التخاذل أمام جاه العباد ، وهؤلاء هم الذين أتوا العلم الصحيح الذى يقومون به الحياة حق التقويم ، ويعرفون أن ثواب الله خير من هذه الزينة ، والشعور على هذا النحو درجة رفيعة لا يلقاها إلا الصابرون .

تظهر الآيات قيمة المؤمنين ودورهم بأنهم ليسوا مكتوفى الأيدى قابعين فى صوامعهم ، بل يخرجون وينبهون الناس ، ويحذرونهم دونهم من الاغترار بالقيم الفاسدة ، بل إن ثواب الله خير من هذه الزينة ، والشعور على هذا النحو درجة رفيعة لا يلقاها إلا الصابرون ، الصابرون على معايير الناس ومقاييسهم ، الصابرون على فتنة الحياة وإغرائها .

ثم تمضى الآيات لتظهر يد القدرة وهى تضع حداً للفتنة ، وتحطم الغرور والكبرياء بأن خسف بقارون وبداره فابتلعتهم الأرض ، ولم ينفع الكفار والظالمين قوتهم .

وفى هذا الوقت يرى الناس المقاييس الحقيقية ، ويعلمون أن الثراء ليس آية على رضا الله ، فهو يوسع الرزق على من يشاء من عباده ، ويضيقه لأسباب أخرى غير الرضا والغضب.

وفى لمحة خاطفة ابتلعته داره ، وهوى قارون فى بطن الأرض التى علا فيها واستطال فوقها جزاء وفاقا ، وذهب صعيفا عاجزا ، لا ينصره أحد ، ولا ينتصر بجاه أو مال ، وهوت معه الفتنة الطاغية التى جرفت بعض الناس ، وردتهم الضربة إلى الله ، وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال .

من هنا يلمح المؤمن أن الرضا بقضاء الله هو سبيل الفلاح ، فطريق النار مُعبَّد بالشهوات وزخارف الدنيا ، فقد يعيش المسلم معدما ، ولكن الله قدر ذلك ليكون مكرما فى الحياة الدنيا؛ لأن الله جعل الآخرة للمؤمنين الذين لا يريدون علوا ولا فسادا ، الذين لا يقيمون لهذه الأرض وأشيائها وأعراضها وقيمها وموازينها حسابا . ويختم هذا المشهد ببيان القضاء الإلهى وما فيه من عدل وفضل ، فيظهر تفضل الله جل شأنه على عباده بأن من عمل الحسنة فثوابه عظيم أكبر من جزاء الحسنة وأن الله بعدله يحاسب من اقترفوا السيئات بأعمالهم.

يقول صاحب الظلال : « تلك الآخرة التى تحدث عنها الذين أوتوا العلم . العلم الحق الذى يقوم الأشياء قيمتها الحقيقية ، تلك الدار الآخرة الرتبة البعيدة الآفاق ، تلك الدار الآخرة ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ فلا يقوم فى نفوسهم خاطر الاستعلاء بأنفسهم لأنفسهم،ولا يهجس فى قلوبهم الاعتزاز بذواتهم والاعتزاز بأشخاصهم وما يتعلق بها، إنما يتوارى شعورهم بأنفسهم ليملأها الشعور بالله ، ومنهجه فى الحياة ، أولئك الذين لا يقيمون لهذه الأرض وأشيائها وأعراضها وقيمها وموازينها حساباً ، ولا يبغون فيها كذلك ، أولئك هم الذين جعل الله لهم الدار الآخرة ، تلك الدار العالية السامية » .

﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين يخشون الله ، ويراقبونه ويتحرجون من غضبه ويبتغون رضاه ، وفى تلك الدار الآخرة يقع الجزاء كما كتب الله على نفسه ، الحسنة بأضعافها وبما هو خير منها ، والسيئة بمثلها رحمة بضعف الخلق وتيسرا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ الحذر من الغرور والاستكبار ، ووجوب تواضع الإنسان لله .

٢ ـ ضرورة تقديم النصيحة لمن يحتاج إليها فى رفق وهدوء قبل أن يقع فى الخطأ ولا يستطيع النجاة .

٣ ـ الإيمان بأن الرزق مقدر من الله ، وأن الله يبسطه لحكمة ، ويمسكه لحكمة .

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

٣٩٦

معانى الكلمات :

فرض عليك : أى أنزل إليك القرآن .

لرادك إلى معاد : المقصود إلى مكة .

ظهيرا : معينا .

يصدنك : يمنعنّك .

له الحكم : القضاء النافذ .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بالثقة فى نصر الله .

٢ ـ أن يعلم المسلم صفة طريق الإيمان لله .

٣ ـ أن يصبر المؤمن على كل بلاء وشدة .

المحتوى التربوى :

تمضى الآيات لتقرر أن وعد الله قائم لكل السالكين فى الطريق ، وإنه ما من أحد يؤذى فى سبيل الله ، فيصبر ويستيقن إلا نصره الله فى وجه الطغيان فى النهاية ، فقد خرج الرسول من مكة وهى أعز وأحب بلاد الله إليه ووطن صباه ، فجاء الخطاب بالقسم بأن الذى فرض عليه القرآن سينصره فى الموعد الذى قدره ، وهذا الأمر له شاهد فقد رد الله موسى من قبل إلى الأرض التى خرج منها هاربا مطارداً ، رده فأنقذ به المستضعفين من قومه ، وكانت العاقبة للمتقين .

ويقول صاحب الظلال : « وهكذا شاءت حكمة الله أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد فى ذلك الظرف والكرب ليمضى ﷺ فى طريقه آمنا واثقا ، مطمئناً إلى وعد الله الذى يعلم صدقه ، ولا يستريب لحظة فيه » .

ثم تمضى الآيات فى تبيان أن الرسالة نزلت رحمة للرسول وهو لم يتطلع إليها ، وترسم الآيات بعد ذلك الطريق للرسول والدعاة ، فهى رحمة إذن بالرغم من التكاليف الشاقة والمهام الجمة العسيرة التى يواجهها هؤلاء الدعاة ، فلابد من جعل دعوتهم بيضاء بأن تبعد عن طريق الكفار ، أهل الزيغ والضلال بأن تكون دعوة خالصة لا لبس فيها ولا غموض دعوة إلى الله لا لمصلحة ولا لهوى ، بل يجب التسليم لله لتفرده عز وجل ـ بالألوهية والبقاء والحكم والقضاء ، ليمضى أصحاب الدعوات فى طريقهم على هدى ويقين .